

الفصل الأول

العلاقة بين التوطين والتنمية البدوية

ترتبط مشكلة البحث والمتعلقة بتوطين مجموعة من البدو فى منشية السادات بمدينة الزقازيق بما يسود المجتمعات المختلفة من وجود ظاهرة لتوطين البدو ولأسباب اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية ٠٠٠ الخ . لذلك فقد استهل الباحث دراسته لمشكلة بحثه بالقاء الضوء عن ظاهرة التوطين البدوى لتمثيل خلفية لكافة القضايا التى يمكن أن تثار عند مناقشة المشكلة أو بمعنى آخر تعد مدخلا أساسيا لكافة جوانب التطبيق ، علما بأن توطن البدو - موضوع الدراسة - جاء اختياريًا وبمحض ارادتهم على عكس التوطين الاجبارى الذى يتم وفق سياسة مرسومة لهذا الغرض أى أن الدافع الى التوطن جاء من داخل نفوس هؤلاء البدو وهذا يمثل عنصرًا ايجابيا كما أنه يحمل مضمونا ثريا بالقضايا التى يمكن مناقشتها فى ضوء النظرية السوسيوولوجية . وفى نفس الوقت أحتاج هذا التوطن الاختيارى الى شكل من أشكال التنمية كما لاحظ الباحث ومن هنا يجيء التساؤل وهل هؤلاء البدو على استعداد لقبول مشروعات تنموية من أجل الارتقاء بمستوى أوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية أن الاجابة على هذا السؤال هى مفتاح قضية المناقشة وهى تعبر عن وجود تغير مصاحب لهذا التوطن أم لا وما هو مسار التغيير ونتيجته وكان هذا سوف تكشف عنه نتائج الدراسة الميدانية .

ولنبداً فى هذا الفصل بدراسة أبعاد ظاهرة التوطين البدوى فنشير بادئ ذى بدء الى تصور المجتمع البدوى وما هى أبعاد التوطين . وهل له مشكلات وإذا كان الامر كذلك فكيف يمكن علاج هذه المشكلات وما دور النتيجة فى ذلك .

المجتمع البدوى :

عند دراسة خصائص المجتمع البدوى يشير الباحث الى طبيعة هذا المجتمع وتكوينه وما يتصل بذلك من دراسة لظاهرة البداوة وانماطها وخصائصها التى تشكل طبيعة هذا المجتمع ومدى انطباق ذلك على المجتمع البدوى العربى الطابع .

طبيعة المجتمع البدوى - هناك تعريف لهذا المجتمع مؤاده انه ذلك المجتمع الذى يشكل تكوينه البنائى مجموعة القبائل المحلية التى تسيطر على انماط حياتها وأشكال سلوك أفرادها نماذج تقليدية من عادات وأعراف بدائية الطابع قيست بمظاهر حياة المجتمع المعاصر فى الريف والحضر بمعنى آخر ان نمط الحياة البدوية تتميز بالبساطة وعدم التعقيد فضلا عن تداخل وتساند وتشابك علاقاتها الاجتماعية ونظمها التى تتعدد وظائفها بحسب درجة تقدم او بدائية الحياة القبلية ، وعلى اى حال فان هذه الحالة الحضارية تمثل مرحلة اقل تقدما عن حالات حضارية اخرى بسبب انتشار ظاهرة البداوة فيها(١) ومعنى ذلك ان الربط بين بناء هذا المجتمع البدوى ومظاهر حضارية يشكل فى مجموعة الخاصية الجوهرية لطبيعة هذا المجتمع ومن هنا وضعناه بالبداية بالمقياس الحضارى المعاصر .

ذلك ان البدو كما هو معروف عنهم يعيدون عن المؤثرات المجتمعية الخارجية لانهم اساسا منعزلون ويؤثرون هذه العزلة التى تشكل حاجزا منيعا ضد من يفكر فى الاغارة عليهم حضاريا من الشعوب الراقية . وهم منعزلون لانهم يعيشون فى اطار نظام قبلى لم يتطور الا فى صعوبة بالغة لانه نظام يقدر الماضى ويخضع لقيود البيئة واعراقها ومن هنا كان الحكم على مظاهر الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية لهذا المجتمع البدوى .

واذا ما درسنا خصائص الانسان فى اطار هذه الظروف القاسية

(١) صلاح الفوال : علم الاجتماع البدوى دار النهضة العربية
الطبعة الاولى ١٩٧٤ ص ٧٤ .

لحياة مجتمع البدوى أمكن القول أنه انسان حرم من وسائل الحياة الكريمة وجاهل لايسط أساليب الصحة العامة ، فضلا عن خضوعه التام لاحكام البيئـة فى صحته ومرضه . وفى مآكله ومشربه فهو أسير هذه يتعرض للمجاعات فى مواسم الجفاف وقلة الامطار ومن هنا كانت حياته بسيطة فهو راعى متنقل حيث الكلا والاعشاب كى يغذى قطعيه من المواشى والاعنـام التى يتغذى هو ببعضها لبنا ولحما عن بعض التمور ومنتجات الحليب . آثاآ بيته تبدو عليه البساطة فهو يتألف من الخيمة التى ينسجها من أصواف وأشعار أنعاملا ولا يذهب الى الحضـر الا للضرورة القصوى حيث يبيع الماشية ومنتجات القطيع وشراء بعض الاقمشة القطنية الزهيدة الثمن والاحذية الجلدية الغليظة وبعض المواد الغذائية كالسكر واللبن والشاى والتبغ(٢) فكان ثقافة هذا الانسان البدوى تميل الى البساطة والى قيود البيئـة الطبيعية والاجتماعية ولا يملك فكاكا من هذه القيود بأى حال من الاحوال . ولذلك نجد صارما فى نظرتـه الى الامور ، فظا فى تعامله مع الآخريـن ، يحكم على الامور من واقع ما أملتـه عليه الاسرة أو القبيلة من توجيهات فى هذا الشأن .

ويحتفظ الانسان البدوى من خلال النظام القرابى بوحدة حضارته ذلك لانه يرتبط بالقبيلة ويشعر تجاه أفرادها برابطة قوية وأن كان ذلك اخضاعه للقانون الوضعى المألوف مثلا ، فضلا عن ذلك ترتبط درجة تمثـل مشكلة لسياسة الدولة التى ينتمى اليها اذا فكرت فى توطينه أو تحضر هذا الانسان البدوى وحيث يتجه الى الزمان ومن هنا تمسك بعادات وتقاليده آباءه وأجداده . كما عرف عن البدوى كرهه الشديد للاعمال البدوية فضلا عن حياة المدنية التى تعتبر قييدا على تصرفاته مما يتنافى مع عاداته ، الى جانب ذلك فان القيود تمنعه من الزواج خارج القبيلة وهو يشعر اذا استقر فى مكان معين يتيح له الزواج ويجاد علاقة سيئة بينه وبين المجتمع فينفر من هذا الاستقرار ويخشى نتائجه .

(٢) د . فوزى خليل البرازى : البداوة والاستقرار فى العراق .

ويضاف الى كل ما تقدم أن انتشار الامية وعدم تنوع المظاهر
النشاطية للانسان البدوى ضرب ذلك حوله مشاعر من العزلة وأضعف
ثقته بالمجتمع القوى الذى ينتمى اليه (٢) وليس من شك فى أن هذه المظاهر
الانسانية لعيادة البدوى تمثل جوهر حياته الاجتماعية والاقتصادية
والدينية . . . الخ وأن عنصر الابتكار أو التجديد لا يمكن افتراض أنه
سوف يأتى من داخله بل لابد أن يأتية من الخارج اذا أراد تغيير نمط
هذه المظاهر .

البدواة - وفضلا عن ذلك فان حياة الانسان البدوى بهذه الصورة
هى انطباع الظاهر البدواة التى تحكم سلوك وعادات هذا البدوى ،
والبدواة نمط حياة معروف لدى البشرية قد تمتد هذه البدواة الى البشر
فيطلق عليهم البدو ، فضلا عن ان لها نمط مادي هى البيئة الصحراوية
مكان تواجد هؤلاء البدو وتجمعهم فى قبائل واذا قلنا بالصحراء قلنا
بالعزلة المكانية ومن ثم الحضارية وعلى هذا أصبحت البدواة تمثل
قطعا معينا من قطاعات المجتمع القومى (٤) .

ومن خصائص البدواة عند ابن خلدون أنها تشتعل على العديد من
المتناقضات فالبدو شجعان لكنهم نهاب لاموال غيرهم من البشر ، انهم
على خلق كريم لكنهم قطاع طريق وهم أهل خير ومروة لكنهم يعشقون
الحرب . وهذه المتناقضات هى من صنع البيئة وليس من صنع البدوى
نفسه ، والصراع هو سمة العلاقة بين البدواة والتحضر وهو ظاهرة
محتمة كما قد يكون الصراع فى داخل الانسان البدوى وقبيلته ورغم
تغلب البدواة على التحضر سرعان ما يركن الانسان البدوى الى الدعة
وتغلب عليه الحضارة اذ قد أصبح الحضر منطقة جذب للبدو (٥) .

ومن أنماط البدواة - بدواة الجمع والالتقاط ، وبدواة الصيد ، اما

(٢) د. صلاح العبيد : التنمية والتكامل بالوطن العربى . معهد
البحوث والدراسات العربية ١٩٧٤ ص ٨٦ .
(٤) صلاح الفوال : مرجع سابق ص ١٥٦ .
(٥) صلاح الفوال : مرجع سابق ص ٧٨ .

عن طبيعة الترحال فقد يكون ترحالا عاديا أو اضطرابا موسميا دوريا من خصائصه البساطة وعدم الاستقرار والحذر والتجمع القبلى مع الاستجابة البيئية للتغيرات الحضارية (٦) .

وهناك من يرى أن الانسان بدأ حياته بدويا فى عصور ما قبل التاريخ حيث كانت هذه الحياة تعتمد على التنقل ولا يزال هذه الظاهرة هى السمة الاساسية للبداوة ، والبداوة ليست التنقل المطلق غير المحدود أو غير المقصود ، انما هى تنقل يستهدف التحرك الى مواضع مؤقتة يتوقف مدى الاستمرار فيها كمية الموارد المعيشية المتاحة فى تلك المواضع وعلى مدى توفر الوسائل الفنية المستخدمة فى استغلالها ومدى توفر عنصر الامن الاجتماعى بها .

وجدير بالذكر أن هناك فرق وأضح بين البداوة والهجرة وذلك لان الهجرة تبدأ من نقطة انطلاق وبداية ثابتة سواء كانت الهجرة مؤقتة أو دائمة ، ونقطة الانطلاق والبداية فى البداوة دائرية بمعنى انه يصعب التفرة بين المستقر والمهجر فى حالة البداوة . ولعل الزراعة المتقلة والصيد والرعى تنطوى بطبيعتها على البداوة لانها تقوم على التحرك والتنقل خاضعة فى ذلك للطبيعة لانها هى التى تسيرها حيث تريد لاحتياج يريد الانسان .

ولقد استمرت البداوة المعاصرة فى صورة الرعى أكثر منها فى الصورة الاخرى كما ارتبطت البداوة الرعوية فى الانهان بالصحراء وخاصة فى المنطقة العربية . ولذا كانت البداوة ليست وفقا على الصحراء فانها ليست كذلك وفقا على العربى ذلك أن تصور البداوة يرتبط فى الانهان بالعربى « والجمل » ومع ذلك فان البداوة اليوم فى العالم بين غير العرب هى أضعاف أضعافها بين العرب واذا كان الجمل هو عنوان البداوة فى منطقتنا فان البقر مثلا هو عنوان للبداوة فى أفريقيا . وتوجد قبائل ليست عربية ولكنها تنسب الى العرب بحكم الحضارة فهم مسلمون مثل قبائل البربر فى الصحراء الكبرى ومثل البيجا فى شرق السودان .

وقد ظلت البداوة تمارس نفوذًا خلقيا منفصلا على الحياة العربية
فمازال من النظم الاجتماعية وأنماط السلوك والقيم البدوية تتعايش حتى
فى العواصم والمدن العربية المعاصرة جنبًا الى جنب مع التطورات والقيم
العربية وتكاد تنفرد بشخصيتها فى المجتمعات العربية التحررية (٧) .

أما عن ظاهرة العصبية فى البداوة كما يشير الى ذلك ابن خلدون
فتبقى النسب محفوظا وصريحا فى الحياة البدوية ، والعصبية المتولدة
منه تكون قوية فى تلك الحياة الا أن النسب يفقد صرامته والعصبية تفقد
قوتها فى الحياة الحضرية وذلك لسببين :

١ - أن حياة البداوة تتضمن شيئا من الاعتزال ، فاختلاط الانساب
يكون قليلا فيها بطبيعة الحال وطبيعة الفقر يكاد الشظف والسغب
« والعيش فيه » صار لهم الفأ وعادة وربت فيه اجيالهم حتى تمكنت خلقا
وجيلة . فلا تبرع اليهم أحد من الامم أن يساهم فى حالهم ولا يأنس بهم
أحد من الاجيال . . . فيؤمن عليهم لاجل ذلك من اختلاط انسابهم
وفسادها ص ١٢٩ .

٢ - أن حالة البداوة تقتضى بطبيعتها وجود عصبية قوية لان
الدفاع عن الصى لا يتم الا على أيدي « أنجادهم المعروفين بالشجاعة ،
ولا يصدق دفاعهم وزيادهم الا اذا كانوا عصبية وأهل نسب وأحد ،
لانهم بذلك تشتد شوكتهم ويخشى جانبهم » أما المنفردون فى انسابهم
« فلا يقدررون على سكنى الفقر » لانهم يصبحون « طعمة لمن يلتهمهم من
الامم سواهم » ص ١٢٨ (٨) .

وعلى هذا الأساس فان هناك علاقة وطيدة بين حالة البداوة وبين
ظهور شكل من اشكال العصبية التى تعتبر فى واقع الامر خافية ملازمة
لها فلا يمكن وجود البداوة الا اذا لازمتها العصبية والا افتقدت كينونتها
كظاهرة تسود المجتمع البدوى بعامة اما عن لماذا تلازم العصبية البداوة

(٧) د - صلاح العبد : مرجع سابق ص ٨٥ .
(٨) ساطع الحصرى : دراسات عن مقدمة ابن خلدون طبعة موسعة
مكتبة الخانجى بالقاهرة الطبعة الثالثة ١٩٦٧ ص ٢٢٢ .

فذلك راجع الى طبيعة البناء الاجتماعى فضلا عن ظروف البيئة الطبيعية القاسية التى تحكم سلوك البدوى فى معاملته وعلاقاته مع الاخرين بدوا كانوا أو غير ذلك .

خصائص البداوة العربية - وإذا كان الباحث قد تحدث عن سمات البداوة العامة فانه نظرا لما قد يلتصق بالانهاض من ارتباط البداوة بالعرب فاننا نجد أن العلامة العربى ابن خلدون يوضح خصائص هذه البداوة العربية من تطور قومى (٩) باعتبار أن العرب قوم لهم سمات وقيم خاصة وقد حدد ابن خلدون فى المقدمة الثانية توزيع العرب فى الاقاليم وأجزائها وبين أنهم يجولون فى الخلاء والفقار وفى الحديث عن الشام فى الجزء الخامس من الاقليم الثالث قال « وفى الشرق عن بعلبك وحمص بلد تدمر ومجالات البادية الى آخر الجزء . وفى الجزء السادس من أعلاه مجالات الاعراب تحت بلاد نجد واليمامة ما بين جبل العرج والصمان الى البحرين » ويتضح من ذلك أنه يقصد بكلمة عرب الاعراب أى البد والرحل .

وينقل ابن خلدون من بعد ذلك الى اصدار أحكام اجتماعية على العرب البدويين وصياغة قوانين عمرانية عن حياتهم وأخلاقهم بناها على ما استدل عليه بالخبرة الشخصية وبما أمكن استقراؤه من تاريخهم وأحوالهم فهو يرى أن أهل البدو أقرب الى الخير والشجاعة من أهل الحضر « وأن الصريح من النسب انما يوجد للمتوحشين فى القفر من العرب ومن فى معناهم » وأن الامم الوحشية أقدر على التغلب من سواها « وأنه اذا كانت الامة وحشية كان ملكها أوسع » « وأن العرب لا يتغلبون الا على البسائط » « وأن العرب اذا تغلبوا على اوطان أسرع اليها الخراب » « وأن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من بنوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة » وبين أن العرب أبعد الأمم

(٩) د حسن الساعاتى : علم الاجتماع الخلدونى - دار المعارف
الطبعة الثالثة ١٩٧٥

عن سياسة الملك وذلك لانهم بدو يقتصدون فى معيشتهم على الضرورى من قوت وكن ودفء .

وكما أنه قال أن « الصنائع بعيدة عن البربر لانهم أعرف فى البدو والصنائع من توابع الحضارة » فقد قرر أيضا « أن العرب أبعد الناس عن الصنائع والسبب فى ذلك أنهم أعرق فى البدو وأبعد عن العمران الحضرى وما يدعو اليه من الصنائع وغيرها » وابن خلدون اذ يطلق هذه الاحكام على العرب ومن يشبهونهم فى حياتهم كالبربر مثلا إنما يصوغها قوانين مدعومة بالادلة والحجج والبراهين التى تستند فى جعلتها الى العمران البدوى واحوال الناس وطرائق معيشتهم المبسطة والمتقشفة فيه وعلى رأسهم « الاعراب أهل البادية » وقد ذكر ابن خلدون المهاجرين فى صدر الاسلام كانوا يستعينون بالله من التعرب وهو سكنى البادية » .

يمكن القول إذن ان المجتمع البدوى فى اطار هذا البحث هو مجتمع البادية حيث تعتبر حالة البداوة من أبرز مقومات هذا المجتمع ، والبداوة بكل ما تحمله من خصائص إنما تعتبر الوجه الحقيقى لسلوك الانسان البدوى وفى اطارها تتشكل علاقاته الاجتماعية ومن خلالها يقوم النظام الاجتماعى فى هذا المجتمع وأقول مجتمع لأنه يحدد اطار مكانى هو الصحراء ويقيم فيه سكان لهم طباعهم وعلاقاتهم ونظمهم كاي مجتمع من المجتمعات غير أنه لا يمكن القول من منظور معاصر أن مجتمع البادية يشكل بمفرده مجتمعا قوميا شاملا ذلك لأنه جزء من كل ، أى جزء من المجتمع القومى وأن كانت له سمات وخصائص مميزة ومن هنا كانت خطوة ترك هذا التجمع البدوى بعيدا عن العمران البشرى لأنه يشكل قطاعا متخلفا فى المجتمع الشامل .

أبعاد ظاهرة القوطين البدوى :

بعد أن تبين لنا سمات وخصائص المجتمع البدوى والحالة التى يحياها الانسان فيه وتوفر كافة عوامل التخلف الثقافى فضلا عن أن هذا المجتمع يلقى بمسئوليات التخلف هذه على عاتق المجتمع القومى لأنه

تركه فى حالة من الاهمال بحيث أصبح مصدر عار فى جبين القطاع المتحضر من المجتمع ومن أجل ذلك رأيت الحكومات فى الآونة الأخيرة الى تنفيذ مشروعات خاصة بتوطين البدو للاستفادة من طاقاتهم فى تنمية المجتمع فضلا عن انعاش حياتهم الاجتماعية والاقتصادية وبالتالي لا يشكلون مشكلات سياسية للدولة .

لذلك رأى الباحث أن يناقش أبعاد ظاهرة توطين البدو فى هذه الفقرة من البحث نظرا لاهميتها فى مجال تنمية المجتمعات البدوية والمستحدثة ، وسيتناول دراسة هذه الأبعاد من حيث المفهوم والمشكلات وعلاقة التوطين بالتحضر ومستلزمات هذا التوطين وعوامل الاستقطاب الحضرى للبدو وعلاقاته فى الحضر والفرقة بين التوطين التلقائى والتوطين المخطط هذه رؤس موضوعات تشكل فى مجملها أبعاد هذه الظاهرة .

مفهوم التوطين - هو مجموعة من العمليات التى تتيح للجماعة البدوية الاستقرار والتوطين فى نطاق مكائى معين سواء ضمن مناطقها العادية أو ضمن مناطق أخرى جديدة ملائمة وفى اطار من ظروفها وقيمها ونظمها وأحتياجاتها الأساسية ورغباتها وأنماط سلوكها وفى خلال فترة زمنية محدودة وبغرض أحداث تغيير متصور ومتدرج سواء فى أنماط الحياة الاجتماعية والاقتصادية السائدة أو فى أنماط السلوك والعلاقات البدوية السائدة وعلى ضوء خطة محلية وقومية مدروسة .

أما عن مهام التوطين فهو تحقيق تحول الجماعة البدوية عن الترحال بمختلف أشكاله لذلك يعتبر التوطين ضرورة قومية ، ذلك ترحال البدو يعرقل نشاطهم فضلا عن عدم قدرة المجتمع على استيعاب نشاطهم فى تنفيذ خطة شاملة ، فضلا عن أن توطين البدو يغير بالضرورة من سلوك الانسان البدوى ويهذب من طباعه ويحد من شوكة وصرامة العادات القبلية القاسية ، لان البدوى ينتقل من حالة من الفقر والتخلف الى مرحلة التعمير والبناء واقامة علاقات جديدة تختلف عن قيمة وعاداته

وعلاقاته الاجتماعية السابقة (١٠) ومعنى ذلك أن التوطين يحمل فى مضمونه معنى التغيير لانه انتقال من حالة لاخرى ويكون التغيير فى هذه الحالة على درجة ما من العمق او السطحية نتيجة درجة تقبل الحالة الجديدة والاستمرار فيها .

ومن ناحية أخرى قد يفهم من التوطين عملية تحضير البدو واستقرارهم وهى عملية - كما سبق القول - تقوم على احداث تغييرات فى الظروف الطبيعية المحيطة بهم بحيث تنقلهم من حياة التنقل الى حياة الاستقرار فى مكان ثابت يسهل تنمية الموارد البشرية والاقتصادية ورفع مستوى الحياة الاجتماعية وايجاد التفاعل المنشود بين البدو وطوائف المجتمع الأخرى .

مشكلات التوطين - واذا كان التوطين عملية ضرورية فانها لا تتم دون مشكلات تتعلق أساسا بمشكلات البداوة ذلك ان البدو فى مجتمعنا العربى على سبيل المثال قد ارتبطوا ارتباطا بقاريخ الحضارة العربية ونظرا لحرمان المجتمع البدوى من الخدمات الاساسية فانه يصبح من اكثر قطاعات المجتمع القومى احتياجا للتنمية والبناء حيث ان حياة التنقل التى تتميز بها حياة البدو وتحول دون اتصال الخدمات التى يقدمها المجتمع للبدوى فى المجتمع القومى ومن أجل هذا لا بد من دمج المجتمع البدوى فى المجتمع القومى ليساهم فى الخدمة العامة ويصبح جزءا فعالا فى الكيان القومى ثروة وبشرا ومن أجل ذلك كانت مشكلة البداوة فى المجتمع العربى من المشاكل التى لها أهمية خاصة يستلزم حلها ضمن اطار اجتماعى جديد يتم من خلاله توطين وتنمية المجتمع البدوى (١١) .

وتبدو اذن مشكلات التوطين من واقع المجتمع البدوى نفسه ذلك لانه اكثر المجتمعات حاجة الى التنمية والبناء وهذا يحتاج بالضرورة الى جهود مكثفة وتبعات ضخمة لانه بعد التوطين نكون قد بدأنا فى علاج مشكلة البداوة فى حد ذاتها وفى مظاهرها ، تلك المشكلة التى تعوق

(١٠) صلاح الفوال : مرجع سابق ص ١٠٢ .

(١١) د . صلاح العبد : مرجع سابق ص ٨٦ .

حركة التخطيط والتنمية للموارد الطبيعية كانت أم بشرية ويرتبط بعلاج هذه المشكلة علاج لمشكلات أخرى تابعة بها مشكلة التواكلية والاستسلام لاوامر الطبيعة وأحكامها دون ما تصرف أو جهد فضلا عن علاج لمشكلة الشعور بالنقص والعجز أمام جبروت الطبيعة وطغيانها فضلا عن صرامة السنن الاجتماعية التي تدعو الى احتقار العمل البدوي والاكتناز بعيدا بعيدا عن الاوعية الادخارية المألوفة واحتقار المرأة وهى كيان له وضعه فى مجال التنمية فضلا عن انتشار الامية والروح القبيلية وتختلف الاوضاع الادارية(١٢) .

اذن فعلمية التوطين ليست بالعملية السهلة وانما هى تحتاج الى جهد مزدوج تحتاج الى جهد اقناعى للسكان الابدو أنفسهم فى ضرورة تقبل اوضاع جديدة تحمل لها انعاشا اجتماعيا واقتصاديا وتوفر لهم الامن والامان على اوضاعهم فى اطار المجتمع القومى الشامل ثم جهد الاعداد لعملية التوطين نفسها بما تتطلب من امكانيات مادية وبشرية ومعنوية حتى تكتمل العملية فى نجاح .

التوطين التلقائى والتوطين المخطط - وبقصد بالتخطيط تلك العمليات التى تشترك فيها الاطراف المعنية من الحكومة ومن المستوطنين فى تنظيم العمليات المختلفة التى تستهدف تكوين مجتمعات وظيفية جديدة فى مناطق جديدة تقوم بموجب معايير وقوانين ، ويأخذ التوطين التلقائى شكله هذا بطريقة تملئها الاحوال الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التى تدفع الافراد والجماعات خارج مساكنهم أو تجذبهم داخل مساكن جديدة وفى هذا الفرع من التوطين فان عملية الجذب والدفع هى محصلات قوى تعمل مستقلة عن بعضها والامثلة كثيرة على هذا النوع منهم اللاجئون الذين يطردون من ديارهم نتيجة الحروب - مثل افراد العينة التى تقوم بدراستها - والكوارث أو الذين يتخلفون كرواسب من التغيرات السياسية والعامل المشترك بين كل هذا هو أن عملية الانتقال الى المجتمع المستحدث

(١٢) د . على فؤاد أحمد : مشكلات المجتمع الريفي فى العالم العربى . معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨ ص ٣٨ .

والحصول النهائية لم تنفذ في إطار خطة متكاملة . وبالنسبة للتوطين المخطط أو الموجه فهو الذى يحدث نتيجة لخطة مدروسة ويتم بموجب أهداف محددة مثل استصلاح الاراضى ، واستثمار طاقات البدو الرحل وشبه الرحل كطاقة انتاجية كل ذلك يدعو الى ادخال عنصر الادارة او الاشراف الادارى ، واخذ هذا النمط فى المجتمعات المستحدثة ينتشر فى البلاد العربية ففى العراق هناك مشروعات السيب ، وجيلة ، جويجا ، شهر روز ، اللطيفة ، الشيمة وفى السعودية هناك مشروعا الحرض وفيصل ، وفى الاردن هناك مشروع الجفر وفى سوريا مشروعا الفرات والغاب وفى ليبيا مشروع الجبل الاخضر .

وتختلف صور التوطين باختلاف المجتمع المطلوب توطين الجماعات فيه فقد يتم نقل التخطيط الى جماعة من الناس فى نفس بيئتهم واعادة تشكيل اقامتهم ونشاطهم ، وقد يتخذ التخطيط صورة أخرى وذلك بتوطين جماعات من الناس لم تكن موجودة أصلا فى هذه المنطقة ويتم توطينهم فيها بعد أن يتم استكمال كافة المرافق المطلوبة لاقامتهم ومعيشتهم وأمثلة لذلك اعادة توطين النوبيين ممن غمرت مياه بحيرة ناصر قرأهم ومزارعهم فى خشم القرية بالسودان وكرم امبو فى اسون(١٢) ووفقا لشكلى التوطين : التلقائى والمخطط يمكن القول بأن بدو منشية السادات وهم موضوع الدراسة ينطبق عليهم الشكل الاول التلقائى حيث أنهم الذين تداوا فى التوطن فى المنطقة دون تدخل رسمى أو شبه رسمى فاقاموا المساكن خصوصا فى المنطقة القريبة من الحقول ولكن بعد أن اتسع نطاق هذه المنطقة السكنية أصبحت فى حاجة الى تدخل التخطيط والتنمية لانه ظهرت مشكلات عديدة سواء كانت مادية تتعلق بادخال مجازى الى المنطقة وإنشاء جمعية تعاونية استهلاكية ومخبز الى ومكتب بريد ٠٠٠ الخ على نحو ما ستفصل فيه القول فيما بعد أو مشكلات معنوية تتعلق بطبيعة

(١٢) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : حلقة النهوض بعلم الاجتماع فى الوطن العربى الجزائر ١٩ - ٢٦ مارس ١٩٧٢ بحث بعنوان : المجتمعات المستحدثة وآثرها فى التطوير الاجتماعى فى الوطن العربى ص ٥٠ .

العلاقات الاجتماعية بين البدو أساس انشاء المنطقة والمصريين الوافدين اليهم للبناء والسكنى .

مسلتزمات التوطين - وان التفكير فى التوطين التلقائى او المتخطط يوجب على الافراد او الدولة ان تعى مستلزمات هذا التوطين حتى يتم بالصورة المستهدفة واذا ما عرفنا مثلا ان البدو يمثلون قطاعا لا يمكن تجاهله من قطاعات السكان فى المجتمع ، ولذلك أصبح واجبا على الدولة ان تسعى لانتشالهم مما هم فيه من موضع اقتصادى واجتماعى هابط ، هذا العمل يتطلب برامج معينة يتم بها التغيير الاجتماعى والاقتصادى بخطوات تدريجية حتى يمكن تحقيق عمليات الاستقرار والتوطين دون حدوث مشكلات تؤدى الى فشل المشروع .

والتوطين اذن هو الخطوة الاولى للتخصبر ، ويتجه التوطين الى قبائل الرحالة أما التخصبر فانه يتجه الى العشائر المستقرة وشبه المستقرة ، ان توطين القبيلة البدوية يعنى الصاقها بالارض وهذا العمل يؤدى الى تغيير طراز حياتها المادى وتغيير لطبيعة الحياة المحيطة بها لان الاستقرار يجعلها أقرب الى موارد الحياة وتساعد على اتخاذ اساليب الجديدة فى كسب العمل والعيش التى تباير ما اعتادت عليه فى حياة الترحال .

ان تغيير البيئـة الطبيعية او المحيط الذى تعيش فيه جماعة من الجماعات حتما الى تغيير جذرى فى حياتها الاقتصادية والاجتماعية من عادات وتقاليد ، اعراف وان تحولهم الى مهنة زراعية يؤدى الى تغيير عقليتهم أيضا لان حياة الاستقرار معناه خلق عاطفة الالتصاق بالارض وهذا لا يستشعره الا الفلاح ويتولد عن ذلك الولاء للاقليم او « الوطنىة » ومن نتائجها ربط البدوى بأرض تكون رزقه وعندما تدور الايام تصبح هذه الارض حديث ذكريات الابهاء والاجداد .

ولتنفيذ مشروع التوطين وأخرجه الى حيز الوجود وجب معالجة اساسيين : الاول ينبع من طبيعة العشائر وقوام حياتها . والثانى يتعلق بالدولة وهو تقديم الوسائل التى تساعد على التوطين .

ومهما تكن الطريقة التي تتبع في توطين البدو فلا بد من سياسة واضحة المعالم تسير عليها عملية الاستقرار وبالتالي مساهمتهم في التنمية الشاملة التي ينعكس أثرها في التقدم العمراني وزيادة الانتاج وبذلك تتوفر لهم المناسبة لحياة أفضل ولتحقيق هذه السياسة وجب أن تكون خطوطها العريضة : تملك الأرض وتوفير الموارد المائية ، ونشر الخدمات الاجتماعية والمواصلات(١٤) .

وطبيعة الحال اذا تم التوطين التلقائي من جانب افراد فان مستلزمات هذا التوطين لا يتم بالصورة الفعالة ذات الكفاءة والفاعلية كما هو الحال في التوطين المخطط ذلك أن هذا التوطين التلقائي يحتاج الى عنصر الخبرة والدراية والامكانيات اللازمة ويفتقد الى عنصر الجماعة في التفكير والمبادأة في تنفيذ مشروعات ذات نفع عام مثلما هو الحال عند « بدو المنشية » ذلك أن مستلزمات التوطين لم تكلفهم سوى بناء مساكن لهم في منطقة السكنى دون أن يفكروا في مشروعات مياه نقية أو تخطيط عمراني أو مشروعات صرف أو نظافة ... الخ ولكن بدأت هذه المستلزمات تلح في التنفيذ بعد أن اتسع نطاق السكن في هذه المنطقة حتى أن الرغبة في تخطيط المنطقة جاءت من جانب المصريين الجارين لبدو المنشية الى حد كبير .

علاقة التوطين بالتحضر - سبق أن قلنا أن التوطين خطوة أولى لتحضر منطقة ما بدليل أنه بعد أن توطن « بدو المنشية » ظهرت درجة من التحضر في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية بسبب الاستقرار . ويرجع التحضر بصفة عامة الى القرار السياسي المصنوع بفعل رهاصات ودوافع مجتمعية معينة فضلا عن استجابة الافراد لقرارات التحضر بمعاونة التغييرات الاجتماعية وغيرها التي تساعد على هذه الحركة مثل انتشار الصناعة وظهور العلاقات المعقدة وانتشار اساليب التجارة الحديثة وانتقال المجتمع الى حياة قومية شاملة بدلا من انتشار العلاقات القرابية هذا مع زيادة في عدد السكان واتجاه الهجرة من الريف الى الحضر

ونحو المدن من الداخل فضلا عن ذلك وقد تدخل الموارد الطبيعية عنصرا من عناصر تحضر المجتمعة وخروج المرأة الى مجالات العمل مع ظهور ايدولوجية مستحدثة وقرارات سياسية تدعو الى زيادة التحضر(١٥) .

التوطن اذن خطوة أولى لكافة هذه الخطوات ، وتجدر الاشارة انه مع ظهور مراكز حضرية معينة فان السكان من مناطق أخرى ريفية كانت أو بدوية تستقطبها عوامل التحضر كما حدث عند « بدو المنشية » بفعل عوامل عديدة أنكر منها :

١ - عوامل تتعلق بالموقع الفيزيقي والميزة التوطنية للمكان وتأثير حجم سوق المنطقة وموقعه وسهولة طرق النقل والمواصلات .

٢ - عوامل ترتبط بالأنشطة المادية مثل وجود قاعدة صناعية مع توافر أنشطة صناعية رئيسية تصديرية وزيادة درجة الأنشطة القائمة مع تمتع المنطقة بوفرة فى الخدمات والهياكل الاساسية للمشروعات .

٣ - عوامل تتعلق بالعنصر البشرى ومنها هجرة السكان الى مركز الاستقطاب وتركز السكان داخل مركز الاستقطاب مع ظهور العمالة كمتغير تابع للهجرة .

٤ - عوامل خاصة بالهيكل الثقافى والبناء الاجتماعى الحضري ومنها أن درجة التجانس الثقافى فى المجتمع فى شكل قنوات للاتصال دوراً هاما فى البناء الاجتماعى الحضري ، وتؤثر هذه الدرجة على نسق التدرج الاجتماعى الشامل للمجتمع الحضري ويأتى ذلك نتيجة وجود ثقافات فرعية تتبع أو لا تتبع الثقافة الكلية للمجتمع(١٦) .

الا ان الباحث يرى عند تطبيق عوامل الاستقطاب الحضري هذه على ظروف توطن العينة من بدو المنشية أن العوامل المادية كانت أشد استقبابا

William J. Goode : Principles of sociology, McGraw Hillbook comp U.S.A. 1977 P. 509.

(١٦) د. محمود الكردى : النمو الحضري : دار المعارف ١٩٧٧

لهؤلاء البدو من العوامل الثقافية والقيمية بدليل ان هذه العوامل مازالت الى حد ما مسيطرة على سلوكهم وان تأثروا بمظاهر التغيير المادى فى بناء مساكن واستخدام الراديو على نحو ما ستفصل فيه القول فيما بعد .

ومن هذا المنطلق يمكن الاتفاق مع أرنولد روز Rose فى أن التحضر طريقة حياة وقد أكد العلامة ويرث Wirth هذه الحقيقة منذ سنوات مضت وأوضح أن أشكال التحضر ترتبط بعوامل وأنماط الاستقرار للمهاجرين من الريف صاحب الكثافة السكانية العالية . ويشير بارك Park الى أنه نتيجة لزيادة التحضر فان الامر يكاد على وجه الخصوص يحبذون شيوع الأسرة النووية من أجل تخفيف الكثافة السكانية ، فضلا عن ذلك فان كافة أشكال مشروعات الاسكان الحكومى سوف تجعل من الاستيطان مسألة حيوية هامة ومرغية خاصة فى الأماكن الحضرية مع زيادة هجرة العمال الوافدين اليه تزداد بالتالى حركة ونشاط هؤلاء الجدد الأمر الذى يحتم على السلطات أن تعمل جاهدة على التدخل فى مسألة توطينهم ومن ثم يحدث تغيرات فى سلوكهم وأنماط عاداتهم وثقافتهم ونسق تعليمهم وبالتالي فان وفود هؤلاء السكان بمحض إرادتهم سوف يجعل حركة التغيير الاجتماعى فى منطقة سكناهم أمر طوعى غير مفروض ، ومن هذا المنطلق فان إعادة تخطيط المدينة الحديثة وهى مركز حضرى يعد مسألة ذات أهمية قصوى نظرا لظهور علاقات داخلية جديدة (١٧) .

وإذا كان الأمر يتعلق بتوطين سكان المناطق القريبة من المركز الحضرى ، فان نفس ظروف التوطين هذه سوف تترك بصماتها على توطين البدو مع استحداث الفارق الثقافى بين هؤلاء البدو الذين لهم نظمهم الاجتماعية الخاصة بهم والذين هم فى حاجة ماسة الى التكيف مع الظروف المستحدثة .

التنمية البدوية :

وتخلص مما تقدم أن توطين السكان أيا كانوا ريفيين أو بدوا يرتبط بتنمية منطقة سكناهم الجديدة ، ولكن التنمية البدوية لها طابع خاص وذلك إذا ما تمت هذه التنمية فى إطار المجتمع البدوى ذاته لأنه من الملاحظ أن الحكومات قد اهتمت فى الماضى بتنمية المدينة والقرية وأهملت الصحراء ولذلك فإن هذا المجتمع المستحدث فى أشد الحاجة الى مزيد من التنمية شأنها شأن المدينة والقرية أن لم يكن أشد نظرا لانعدام ظروف الحياة الصحية السوية العادية ، وتختلف ظروف التنمية البدوية مع البدو الذين استوطنوا منطقة حضرية ولو كانت هامشية كالحال فى ظروف عينة بحثنا ذلك لان التنمية هنا سوف فى إطار حضرى والمهم أن نتعرف على انطباع المشروعات التنموية لهؤلاء السكان البدو على سلوكهم وهل هم الذين طالبوا بهذه المشروعات أم أنها مفروضة عليهم وهل غيرت هذه المشروعات من نظامهم الاجتماعى أم لا ، وهذا ما سيتضح فيما بعد .

وتجدر الإشارة الى أن تنمية المجتمع البدوى ان هى الا مجموعة الجهود الحكومية والشعبية المبذولة عن قصد ويفرض احداث نزع من التغيير فى حياة الجماعات والمتجمعات البدوية وبما تشمله هذه الحياة من جوانب متفرعة ومتعددة وفى إطار السياسة العامة للدولة أى أن التنمية البدوية هى عمليات تغيير اجتماعى مقصود (١٨) .

ويرى الباحث أن خطة تنمية المجتمع البدوى تعتمد على استراتيجية معينة من أبرز مقوماتها (١٩) .

أولاً : النظر الى الصحراء باعتبارها منطقة أو مكان يعيش فيه انسان وتحمل باطنها المواد الخام .

(١٨) صلاح الفوال : مرجع سابق ص ٩٩ .

(١٩) د . اسماعيل عبد البارى : دراسات اجتماعية ١٩٧٩

ثانيا : درجة التكيف المطلوب بين سكان المجتمع البدوى وما يقدر اليهم

• من سكان الوادى بعد عملية غزوهم فى عقر دارهم

ثالثا : التكامل بين الجهد الالهلى والرسمى فى مجال التنمية

رابعا : مراعاة الظروف والامكانات النفسية والاجتماعية للانسان المستهدف

• من حركة التنمية

خامسا : ان تنمية المجتمع البدوى لها خصائص تختلف عن تنمية الريف

• أو الحضر فهى تحتاج الى تكتل الجهود والطاقت

سادسا : لا أفضل فضلا تعسفيا بين تنمية ريفية وحضرية وبدوية بل أن

• التلازم ينبغى أن يكون هو محور السياسة التنموية لهذه المجتمعات

سابعا : مراعاة عامل الزمن وحركة التغيير الاجتماعى السريع الذى

يشهده المجتمع لان الانسان سرعان ما يفقد حماسة اذا طالت

• مشروعات التنمية عن انجاز فوائد محققة

ثامنا : انشاء هيئة عامة تضم الخبرة الفنية والانسانية من أجل التنمية

• البدوية

تاسعا : أن تسبق التنمية البدوية مرحلة استطلاع لمقومات هذه الحركة

• عاشرا : ضرورة العمل بروح الفريق والابتعاد عن التسلطية والمظهرية

الحادى عشر : أهمية المتابعة المستمرة أثناء التنفيذ لكافة الجهود

• المبذولة

ويجدر القول أن المجتمع البدوى بعد حركة التنمية يعتبر مجتمعا

مستحدثا وتنطبق عليه سمات هذه المجتمعات المستحدثة منها : التخطيط

والتوجيه ، كما أن تكون هذه المجتمعات ريفية أو حضرية فيمكن أن تكون

مجتمعا بدويا ويلعب التركيب السكانى دورا هاما فى التنظيم الداخلى

فضلا عن ارتباط هذه المجتمعات المستحدثة بفلسفة المجتمع القومى وعلى

هذا الأساس فإن المجتمعات المستحدثة تنشئها الدولة بمفردها أو بالتعاون مع السكان بقصد توطين أو استيطان مجموعة من الناس تربطهم مصالح وسمات اجتماعية وحضارية مشتركة مستخدمين في ذلك كافة الوسائل الممكنة سواء داخل البيئة أو خارجها بهدف رفع مستواهم وتنمية المجتمع الذي يعيشون فيه (٢٠) ويمكن أذن اعتبار منطقة منشية السادات التي يقيم فيها البدو موضوع دراستنا مجتمعا مستحدثا فالتركيب السكاني يشتمل على عنصرين : البدو والمصريون ، وإن كان الأمايلى أنفسهم والبدو على وجه الخصوص هم الذين قاموا بإنشاء هذه المنطقة وبقي دور الحكم المحلى فى تخطيط هذه المنطقة بتنميتها لأنها فى حاجة ماسة الى مزيد من الخدمات الأساسية خاصة وأن سكان المنطقة رغم اختلاف طباعهم مشتركون فى الاستفادة من هذه الخدمات لأنها سوف ترفع من مستوى حياتهم .

وأود الإشارة فى هذا المقام الى بعض الدراسات التنموية التي تناولت هذا الموضوع استكمالا للفائدة فى مجال التطبيق .

بحث جامعة اللينوى - أجرى هذا البحث الثقافى عام ١٩٥٨ تحت اشراف مركز الدراسات الثقافية ، وقد افترض البحث قيام مساهمة أو مشاركة من جانب السكان نحو دراسة مشكلاتهم ، وقد قام بتنفيذ البحث دارسون فى أقسام الاجتماع والاثريولوجيا بنفس الجامعة وقامت الدراسة الرودجرافية على عدة أقطار فى غرب أفريقيا وشرقها وشمال آسيا واليابان والمكسيك وبيرو وأشرف على البحث أساتذة متخصصون منهم Murphy .

وقد تم انجاز مشروع البحث على ثلاثة مراحل :

فى المرحلة الاولى كانت الدراسة والتخطيط ومناقشة أبعاد المشروع وقد استغرقت هذه المرحلة عام ونصف .

(٢٠) المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم : مرجع سابق

فى المرحلة الثانية وقد استغرقت عام ونصف وهى الدراسة الميدانية
لمجتمع البحث .

فى المرحلة الثالثة والاخيرة تمت مناقشة النتائج واعداد تقرير
البحث . وفى هذه المرحلة عقدت مؤتمرات لمناقشة النتائج ومراجعتها
وأشارت بعض النتائج الى حدوث تغير فى مجتمعات البحث فى السنوات
الخمس الاخيرة ، فقد حدث تغير سياسى فى المجتمعات المحلية كما حصلت
كينيا وتانزانيا على استقلالهما بعد أن خلف الاستعمار مشكلات سياسية
وقومية واستثمارية ، كما تبين وجود صراع بين القبائل البدوية حول
طبيعة التغيرات التى يمكن حدوثها ومدى قبولها أو رفضها ، كما أن
ادخال التكنولوجيا أدى الى تغيير بناء المجتمع فضلا عن ظهور تغير
لموس فى اليابان من خلال المزارع الحديثة كما سمحت التنمية الحضرية
بهجرة العديد من سكان الريف اليابانى الى المدن ، وحدث التغير فى
المكسيك فى أساليب الرى ، كما زادت حركة الصناعة فى بيرو ، ومع
ذلك فإن هذه التغيرات تصل الى تحقيق أهدافها حتى نهاية البحث ، لكن
الشيء الملحوظ هو اندثار مظاهر التقليدية مع ظهور عوامل التحديث
والتغير الاجتماعى والثقافى كما تغير مركز المرأة وأصبحت أكثر مشاركة
فى الأنشطة كما كان للدين الإسلامى نفوذ فى تقوية السلطة الابوية
وحصول المرأة على حق الملكية (٢١) .

وأن كل ما يمكن الاستفادة منه من هذا البحث هو أنه يعطى بعض
المعطيات التى أصبحت كحقيقة مؤكدة وهى أنه مع توفر الرغبة فى
التحديث من جانب الانسان ومع تنفيذ هذه الرغبة يمكن أن يصاحبها
تغير لموس وهذا ما يؤكد وجود بعض التغيرات المصاحبة لحركة التوطين
عند البدو وهذا ما لاحظته الباحث من دراساته الميدانية .

الاستيطان الريفى فى الاراضى المستصلحة فى مصر - فى دراسة

لمركز البحوث بالجامعة الامريكية بالقاهرة عن الاستيطان الريفي فى الاراضى المستصلحة فى مصر نفذت دراسة تقييمية لبعض نماذج الاستيطان فى قطاع شمال غرب الدلتا بالتعاون مع المؤسسة المصرية العامة .

الاستصلاح وتنمية الاراضى المستصلحة التابعة لوزارة استصلاح الاراضى والمركز الدولى للتوطن والتنمية بالاراضى المستصلحة ، بدأت الدراسة من يونيو ١٩٧١ واستمرت حتى ديسمبر ١٩٧٥ مرتكزة الى أن التخطيط للمجتمعات المستحدثة من التجارب حديثة العهد التى تمر بها الدولة لذلك ينبغى أن تقوم مشروعات الاستيطان على التخطيط السليم المبني على الدراسة العلمية لكافة المصادر الطبيعية والبشرية والذى يأخذ فى الاعتبار النواحي الاجتماعية والقيم الانسانية .

ومن الملاحظات العلمية على هذه المجتمعات المستصلحة اختيار القادة فيها خلال السنوات الخمس الاولى من التوطن بناء على المستوى التعليمى والمشاركة فى الانظمة المحلية فضلا عن تأثير عامل السن . ويتم اكتشاف هؤلاء القادة من خلال قيامهم بدور بارز فى عملية توجيه المستوطنين وعلاج كثير من المشكلات التى تظهر خلال ذلك .

أما من حيث مساهمة السكان فى الانشطة المحلية فان الفلاح المصرى يفتقد منذ زمن بعيد فى قدرة الحكومة على عمل كل شىء الا أنه مع بداية مراحل الاستيطان لوحظ أن الفلاحين يشاركون فى المشروعات المختلفة خاصة تلك التى يشعرون بفائدتها لهم مثل بناء المدارس والكبارى والمشروعات التقليدية . كما تبين أن نسبة ٢٧٪ من أصحاب الاراضى يميلون الى تشجيع تعليم الابناء (٢٢) .

هذه الدراسة لمشروع استيطان ريفى ، لكن يهمنى فى المقام الاول الاسس العامة التى يمكن الاستفادة بها حين تقوم الحكومة أو الافراد

بعملية توطين للبدو أنفسهم سواء داخل مجتمعهم البدوى أو خارجه ،
ومن أهم الدروس المستفادة من هذه الدراسة مثلا أهمية انتقاء مجموعة
من قادة البدو ومشايخهم ليكونوا همزة الوصل بين القائم بالمشروع وباقى
أفراد القبيلة وأنه بدون الاستناد الى قيادة محلية رشيدة ، لن يستطيع
المخطط أن ينفذ الى أعماق هؤلاء الناس مثلما فعل الباحث وهو يقوم
بدراسة عند البدو بمنشوية السادات فقد كانت النظرة اليه تشويها مظاهر
الشك ولكنه حين تعرف على أحد أقطاب البدو كان سنده فى الدخول اليهم
بثقة واقتدار ، كذلك يستفيد من هذه الدراسة أيضا مدى قدرة الانسان
البدوى على المشاركة بفاعلية فى مشروع التوطين هل يعتبر ذلك عملا
مفروضا عليه من قبل السلطة لم أنه يشارك عن اقتناع وحرصا على
تحسين مستوى حياته المادية والمعنوية .

المجتمعات المستحدثة وموضوع الاستيطان - يشير الاستاذ الدكتور
أحمد أبو زيد الى أن المجتمعات المستحدثة هى جزء من موضوع أوسع
وأعم وأشمل وهو الاستيطان وعملية الاستيطان عملية قديمة قدم
الانسانية ، ويتم معظم الاستيطان عن طريق تهيئة واستصلاح الاراضى
غير المزروعة سواء كانت قاحلة كما هو الحال فى المناطق الصحراوية
أو اراضى ملحة أو اراضى تغطيتها المستنقعات ، والمسألة ليست سكنى
أو استصلاح للاراضى وزراعتها بقدر ما هى اقامة وانشاء مجتمع متكامل
تتوفر فيه الفرص لتطوير أنماط جديدة من العمل والانتاج وبخاصة فى
المجال الزراعى مع ما يرتبط بهذا كله من ظهور علاقات اجتماعية جديدة
وقيام بناء اجتماعى جديد بحيث يتم ذلك كله بطريقة تتفق مع الامكانيات
المتوفرة فى المنطقة وحاجات السكان الذين سوف يعيشون فى ذلك المجتمع
المستحدث مع الاخذ فى الاعتبار حاجات المجتمع القومى الكبير ومن
هنا فان فكرة المجتمع المستحدث تختلف بالضرورة اختلافا جوهريا عما
يعرف بالاستيطان التلقائى الذى يتوقف الى حد كبير على المبادرة الفردية
وينشأ دون أن يأخذ فى الاعتبار الاطار القومى العام أو حاجات المجتمع
القومى . فاقامة المجتمعات المستحدثة ترتبط اذن بالتخطيط وتتم حسب
خطة دقيقة مرسومة واضحة وهادفة تأخذ فى اعتبارها ليس فقط مسألة

اعداد الارض للزراعة بل وأيضا تهيئة أفراد المجتمع الجديد أنفسهم
واعداد للحياة الجديدة القومية العامة للتنمية بل وكثيرا ما تولى الاشراف
على شئونها بعد اقلتها وأتمام عملية الاستيطان .

ولقد انشئت في مصر عدة مشروعات للتنمية تعتمد في المحل على
انشاء المجتمعات المستحدثة ، وقد لقيت هذه المشروعات عناية كثير من
الباحثين .

وهناك على اقل تقدير ثلاثة نماذج من تلك المجتمعات المستحدثة هي
مشروع النوبة الجديدة مشروع توطين البدو في منطقة الساحل الشمالى
الغربى في مصر .

وليس من شك في أن مشروعات توطين البدو الرحىل تغير من
المشروعات الهامة التى ترتبط بالخطة القومية العامة للتنمية للأسباب
التالية :

١ - أن حياة البداوة لها تأثير عكسى على التنمية واستثمار
الأراضى بالذات .

٢ - أن البدو يعانون فى العادة فى حياتهم اليومية من كثير من
المقاعب الناجمة عن سوء الاوضاع البيئية العامة ويتعرضون بالذات
للجوع والمجاعات نتيجة عدم الاستقرار فى الاحوال المناخية مما يضطر
السلطات المسئولة الى ارسال المعونات الغذائية .

٣ - أن تحركات البدو وراء المراعى تجعل من الصعب على
الحكومة والسلطات المسئولة متابعتهم واخضاعهم لسلطتها فضلا عن
صعوبة تقديم الخدمات التعليمية والاجتماعية والصحية المختلفة لهم
وبذلك فان قطاعا لا بأس به من قطاعات المجتمع المصرى يحرم من هذه
الخدمات .

٤ - من الناحية الادارية البحتة فإن توطين البدو الرحىل سوف
(م ٢ - توطن البدو)

يساعد مساعدة كبيرة على القضاء على المتاعب التي تعانى منها الدولة
فى الصحراء مثل التهريب من الخدمة العسكرية (٢٢) .

وليس من شك فى أن الدراسة تتفق مع الدراسات السابقة فى أن
حدوث عملية التوطين مرتبط تماما بحدوث تغيرات اجتماعية شاملة لان
كافة الاجراءات التى تنفذ من أجل انجاز هذه العملية سوف تخلق
مجتمعا جديداً ليس فقط فى موارده البشرية والمادية بل أيضا فى بنائه
الاجتماعى ونظمه . ومن ناحية أخرى يتفق الباحث مع فكرة أن قيام
مجتمع مستحدث قائم على التخطيط العلمى المدروس والذى توفر له
الدولة كافة مقومات المجتمع هذا المجتمع المستحدث هو من صنع الدولة
لانه يحتاج الى امكانات ضخمة ولا يخفى أيضا الاسهام الفردى والجماعى
فى قبول الاستيطان بهذا المجتمع وبناء على ذلك نقول ان توطين بدو
المنشية جاء بطريقة تلقائية من جانب البدو أنفسهم ودون تدخل من جانب
السلطات كان ذلك فى بداية مرحلة هذا الاستيطان التلقائى لكن مع
اتساع حجم الاستيطان وتباين التركيب السكانى فيها من بدو ومصريين
مع تنوع مظاهر الحاجات الفردية والجماعية وحاجة هؤلاء السكان
الى كثير من الخدمات فضلا عن نزوح كثير من سكان مدينة الزقازيق
الى هذه المنطقة أما بفرض البناء أو بفرض استخراج الشقق الى غير
ذلك كل هذه الظروف حتمت تدخل السلطات من أجل وضع خطة لتنمية
هذه المنطقة بعد أن توفر لها كافة مقومات المجتمع المحلى . ومع اهتمام
الحكومة بمشكلات المنشية والتخطيط لعلاج مشكلاتها أمكن اعتبارها
مجتمعا مستحدثا ظهر فى أطراف المدينة الام بدأ تلقائيا ثم فرض وجوده
على المسئولين للاهتمام به وتنميته .

التنمية الاجتماعية فى الصحراء الغربية - وفى تقرير لوزارة
المشئون الاجتماعية فى الصحراء الغربية يشير الى أن هذه الصحراء
تتنوع مواردها المتوقعة وان كان أغلبها غير ميسر حتى الآن .

(٢٢) د - أحمد أبو زيد : التنمية عن طريق المجتمعات المستحدثة .
بحث مقدم الى مؤتمر علم الاجتماع والتنمية فى مصر ٥ - ٨ مايو ١٩٧٢
المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ص ١٢ .

وتشمل الموارد المادية الحالية موارد زراعية وسمكية وصناعية وسياحية وان كانت أغلبها غير مستثمرة استثمارا أمثلا ، كما تتوفر وسائل انتقال واتصال محدودة وتحتاج الى تطوير حتى تتحمل خطط التنمية هذا الى جانب ظروف معيشية لا تساعد على جذب السكان رغم توافر المناخ الجيد .

وتشمل الموارد البشرية : البدو وسكان الوادى الذين اتجهوا الى الصحراء علما بأن نسبة ٨٧٪ من سكان الساحل الشمالى الغربى من البدو عاشوا فى المنطقة منذ أجيال عديدة تأصلت فيها لديهم قيم وأنساق اجتماعية خاصة بعالمهم البدوى التقليدى الذى يعتمد فيه على تربية الاغنام والزراعة والتجارة بما يوفر لهم المعيشة على حد الكفاف وفى ظروف طبيعية قاسية وقليل منهم يعملون فى بعض الوظائف الحكومية كمدرسين أو سائقين أو عمال ، أما المرأة البدوية فتعمل بالمنزل حيث أن قيم القبيلة تمنع عمل المرأة خارج المسكن .

ونتيجة لتقدم الرعاية الطبية وتوفر الغذاء والمياه تزايد عدد البدو نسبيا ويفضل البدو مشروعات استصلاح المناطق التى يعيشون فيها بمياه النيل كخطوة أولى لتحديث اقتصادهم حيث ستزيد مياه النيل من قيمة الارض التى يعتبرها البدو ملكا لهم وان اهتمام البدو عن طريق مشاركتهم فى زيادة الموارد الاقتصادية الرئيسية فى مصر .

وهناك لدى البدو وبعض المضاوف المرتبطة بتهجير القادمين من الوادى حيث أن البدوى يتوقعون استيلاء الحكومة على الارض التى يمتلكونها طبقا لتقاليد وعرف البدو بعد استصلاحها كما يعملون أيضا أنهم الجانب الاضعف بالنسبة للمهاجرين فى مجال المناقشة على فرص العمالة الجديدة .

ان نسبة ٢٠٪ من البدو مازالوا يعيشون فى خيام ويتزايد اقبالهم على الاستفادة من الخدمات العامة ولكن من ناحية أخرى فهم مازالوا مرتبطين بالارض والابار المنتشرة فى المنطقة وسيتم توفير الموافق العامة

فى الراكز المنتشرة على الساحل تدريجيا ومن المتوقع للتعاونيات الزراعية أن تصبح عسبا رئيسيا لمساعدة البدو على مساعدة أنفسهم .

أما الوافدين من الوادى يمثلون نسبة ١٢٪ وهم مركزون فى المدن ويعملون فى الاعمال الحكومية والبناء والصناعات ، وغالبية القادمين من الوادى قدموا بدون أسرهم أو هم من الغزاب وسيكون من العسير اجتذابهم للهجرة الى الصحراء الغربية اذا لم تتحسن ظروف المعيشة فيها بطريقة جذرية ووجدت الحوافز التى تعوضهم عن افتقاد حياة الاسرة الممتدة فى الوادى .

وتلقى تنمية وتعمير الصحراء الغربية عدة معوقات منها :

١ - معوقات طبيعية مثل العوامل الجغرافية والطبيعية .

٢ - معوقات ثقافية تتصل بالقيم الثقافية للمجتمع البدوى واللغة ووسائل الاتصال ومعوقات تتصل بالتعارض بين القديم وتطلبات التغيير مثل ضعف المشاركة الجماهيرية واحترار العمل اليدوى وانعدام الثقة فى العاملين فى الحكومة وانتشار الامية والانتقام والتأثر والمبالغة فى تقديد الذات .

٣ - معوقات تتصل بالموارد البشرية مثل نقص عدد السكان مع تخلف فى الاعداد والتدريب ونقص عدد العاملين الفنيين .

٤ - معوقات مادية مثل ندوى رأس المال والافتقار الى نظام جيد للمرافق العامة للمواصلات فى المستوى التكنولوجى المنخفض وغياب الحوافز المادية والمعنوية ومرافق المعيشة والافتقار الى وسائل جيدة للترفيه (٢٤) .

(٢٤) اكاديمية البحث العلمى والتكنولوجيا : صبور للتنمية الاجتماعية فى الصحراء الغربية - تقرير وزارة الشؤون الاجتماعية مقدم الى مؤتمر « دور البحث العلمى والتكنولوجيا فى تنمية وتعمير الصحراء الغربية » ٧ - ٩ مايو ١٩٧٨ ص ٢ .

وواضح من معالم هذا التقرير أن بدو الصحراء الغربية مازالوا يحترفون المهنة التقليدية للانسان البدوى برغم توفر الموارد المتاحة للتنمية هذا يشير الى انعدام صفة المبادأة نحو تغيير واقعهم الاقتصادى ما لم يحدث تدخل مباشر من جانب السلطة لتنمية الموارد الاقتصادية حيث ينع ذلك تنمية السلوك الفردى والجماعى بواكب الوضعية المستحدثة وقد اتيح للباحث فرصة الالتقاء بهؤلاء البدو صيف عام ١٩٧٥ ضمن فريق من الباحثين الذين يدرسون امكانيات تنمية منطقة الساحل الشمالى وقد لاحظ ان سكان الصحراء مازالوا يعيشون فى الخيام ومازالت وظائفهم التقليدية فى الرعى هى لم تتغير وقد لمس حاجتهم الماسة الى جرعات قوية من التنمية الاقتصادية والاجتماعية لكنهم غير مستعدين للبدو فيها من تلقاء انفسهم وان احوج ما يحتاجون اليه زيادة الموارد المائية لاستزراع الارض ومعناه الرغبة فى الاستقرار وما يستتبع ذلك من تغير شامل فى العادات والتقاليد .

وفضلا عن ذلك فقد لاحظ الباحث ظهور شكل من اشكال الحساسية بين البدو وابناء الوادى حيث يعتبر البدو ان هذه المناطق ملكا لهم وان ابناء الوادى لديهم سلوكيات معينة مغايرة ولذلك فقد لاحظ الباحث قوة شوكة البدو فى هذه المناطق وغلبتهم على السكان بين ابناء الوادى الذين يخشون باسهم لدرجة ان السلطة تتمشى مع عادات وتقاليد القبائل البدوية وتراعى نظامهم الاجتماعى وقيمهم التقليدية ، بل ان ترك لشيوخ القبائل حرية اختيار ممثلهم فى المجالس الشعبية بدائرة المحافظة « مطروح » .

كما لاحظ الباحث عند زيارته لاحد الجمعيات التعاونية الزراعية المنتشرة فى منطقة الصحراء ان البدو على استعداد كامل للتعاون مع الجمعية شريطة ان توفر لهم لموازمهم من الاعلاف والتقارى ٠٠ الخ وبدون حدوث ذلك لا يعيرون الجمعية ادى اهمية تذكر وهذا يشير الى النظرة النفعية للانسان البدوى ولكن طالما عادات عليه ومن ثم المجتمع

البدوى بالنفع للانسان خاصة اذا استطاع أن يعاون فى دعم التعاونيات خاصة وأن البعض من هؤلاء البدو لديه موارد مالية طائلة .

كما أن الباحث موافق على ما جاء فى تقرير الدراسة من حيث المعوقات التى تواجه هذه المنطقة وعلى سبيل المثال فان المعوقات الثقافية تمثل عقبة - الى جانب المعوقات المادية وأبسط مثال لذلك أنه مع اجراء مناقشة مع أحد شيوخ قبائل مطروح أوضح أنه يفضل أن ينسحب أبنه من المدرسة الابتدائية اذا وجد أى العمال من جانب معلمه . فضلا عن ذلك يفضل أن يعمل راعيا للاغنام فى البوادي والقفار متحملا شظف الحياة وقسوتها على أن يدخل الخدمة الحكومية لانه لم يالف الخضوع لإحد أو التقيد بظروف المهنة .

وهكذا نخلص الى القول بوجود علاقة وظيفية بين التوطين - حركة التنمية البدوية وذلك باعتبار أن التوطين يمثل الخطوة الأولى للاستقرار ومن ثم التفكير فى تنمية الموارد المتاحة بما يعجل بحدوث تغييرات جوهريه فى بناء المجتمع البدوى اذا تم ذلك فى داخل هذا المجتمع أو فى طبيعة البناءات الاجتماعية المستحدثة اذا تم نقل البدو الى مناطق مستحدثة دليل الباحث فى ذلك ما هو ملاحظ فى مجتمع البحث من ربط بين تنمية المنطقة التى أقام فيها البدو تلقائيا واستوطنوا فيها خاصة مع اتساع مساحتها وتعددت رغبات وحاجات السكان أو ما هو ملاحظ بين بدو الساحل الشمالى الغربى من الضرورة الملحة لتنمية هذه المناطق حتى يمكن احداث شكل من أشكال الاستقرار والتوطن للبدو الرحل فيها ، ومعنى ذلك أن هناك تغيرا اجتماعيا مصاحبا لحركة توطن البدو أو توطينهم وهذه قضية البحث الرئيسية التى يجرى مناقشتها فى ضوء النظرية الاجتماعية للتعرف على درجة حدوث هذا التغير ومستواه ومداه ومستقبله .